مطبوعات حديثة

خطط الشام

— الجزء السادس —

« للسيد محمد كرد علي »

تناول الاستاذ المؤلف في هذا الجزء من كتابه الممتع هذه الموضوعات :

البيع والكنائس والديرة — المساجد والجوامع وفيهما ذكر للخلوات — المدارس — الخوانق والربط والزوايا وفيها ذكر لمراقد العظماء — المستشفيات والبيمارستانات — دور الآثار — دور الكتب — الاديان والمذاهب — العادات والاخلاق . وعقب على ذلك بفصل « استدراكات وتصويبات » اودعه بعض مافاته ذكره في الاجزاء السابقة ، وناقش فيه بعض من اخذوا عليه في بعض ما اخذوه عليه .

وهذا الجزء حافل بالفوائد القيمة مما لا نقع عليه الا في المعالم الكبرى بل مما لا ترى له عين في هذه المعالم مثلاً . اذ المعالم الاجنبية لا تعنى بشؤوننا بما يشفي حاجة الطالب ، والعربية على قلتها لا ترى فيها في هذه المباحث الخاصة — ما ترى في هذا الكتاب من علم جم ، واحصاء ، مجموعاً مبوباً في فصول مستقلة .

فانت في هذا الكتاب تعرف معظم ما في بلدك من مؤسسات دينية وعلمانية وتعرف في كثير منها منشأها ومنشئها .

واذا شئت ان تستشهد على حضارتنا الغابرة بما انشأه آباؤنا الاولون من مستشفيات ومدارس ، وجوامع وكنائس ، ودور للكتب وللآثار ، الى غير ذلك من مقومات الحضارة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والعمران ، رأيت المادة التي تريد مجموعة منسقة متسلسلة . وعمل مثل هذا لا يستطيعه الا رجل قضى ما قضاه الاستاذ من بحث ومطالعة وتقييد ومدارسة .

وتشهد في فصل « العادات والاخلاق » صوراً تمثل لك نفوس اصحابها واخلاقهم . وفي رأيي ، بل رأي كثير ممن مروا بهذا الفصل ان الاستاذ المؤلف في تصويره اخلاق هذه الفئة من الناس ، وفيها وصفه عامة الصحافة والقائمين بها ، قد ابدع بما ليس بعده غاية . فجاء هذا الفصل امير هذا الكتاب . وحبذا الاستاذ وهو يرد على من يرون « السكوت عن المعايب حتى لا يبدو عوارنا لغيرنا » .

« وكتمان العلة مدرجة الى الهلكة . والتاريخ لا يكتب على الهوى . ولا يملى لارضاء الناس . وما نخال منصفاً بصيراً الا ويعترف — وهو مثلنا جد آسف — ان ما اصاب هذه الديار من المصائب منذ عهد طويل لم يكن الا لسوء اخلاق من تولوا من ابنائها امرها . وان من المستحيل بعد ان صرح الحق من محضه ، ان تؤلف الشام كياناً يذكر وتقوم في ساحة الحضارة البشرية بعمل يشكر ولو اوتيت علم الجرمانيين واللاتينيين ، ورزقت غنى الانكليز السكسونيين . مادامت اخلاق اهل الحل والعقد فيها لا تعالج بالتقويم . ولا يحاول القضاء على مواطن الضعف من نفوسهم وعقولهم . فالساكت عن الحق شيطان اخرس وصديقك من صدقك لا من صدفك .

فصلته لكن على عقلي فما مقياس عقلك كان لي معروفا

وهذا كلام حسن ، واحسن منه العمل به مع الكبير والصغير ، والحاكم والمحكوم ، ولا سيما في مصلحة البلاد .

على اننا نأخذ على الاستاذ — وهو الذي يأبى الا ان ندلي برأينا الصريح وننتقد ما نحسبه محلاً للنقد — اشياء منها :

١ — انه استعان في بعض فصول كتابه بنفر من الفضلاء كتبوا في امور حسبها من اختصاصهم ، فأثبت ما كتبوه على عجره وبجره ، وعلى بعده احياناً عن روح الموضوع . وليس يرد على ذلك ان ما كتب انما كتب باسم صاحبه فاذا كانت تبعة ما كتب على الكتاب ، فتبعة المؤلف في الانتخاب .

خذ لك مثلاً ما كتب في الاديان والمذاهب ، فلقد كتب احدهم عن اليهود كتابة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تنحصر في التزلف الى المسلمين، والتقرب منهم، واظهارهم مظهر الصديق الحميم . وليس من مثل هذا ، تعرف حقيقة اليهودية ولا سر دينهم .

وكتب احد القساوسة عن الارثوذكسية بعبارة بليغة شائقة ، غير انه تجاوز في بعضها حد الاعتدال ، فرمى خصومه بمستهجن من القول وكان همه التشنيع عليهم في البحث عن سر الارثوذكسية .

وبحث احد الآباء اليسوعيين عن الكثلكة بحث العالم ، على ما في هذا البحث من فلتات تعصب لا يجيزها تاريخ مدني، وانتهى به البحث الى احصاء عجيب استوحاه من نزعات نفسه لا من سجلات النفوس الى غير ذلك من الشؤون التي « كتبت على الهوى واملیت لارضاء الناس » وهو ما نهى عنه الاستاذ في ما نقلناه عنه .

٢ — حبذا لو رجع المؤلف ايضاً في بعض عادات دمشق وحلب القديمة الى اصحاب السن العالية ممن شهدوا هذه العادات او عرفوا شيئاً عنها كما فعل السيد عبد القادر القباني في ما كان كتبه عن عادات بيروت ، اذ ان اكثر ما جاء عن عادات هاتين المدينتين دمشق وحلب انما هو عن عادات اليوم لا العادات القديمة .

٣ — جاء في هذا الكتاب عبارات هي اقرب الى الترجمة او الى لغة دواوين الحكومة منها الى أسلوب الاستاذ السهل الممتنع . ووقع في ما كتبه بعضهم اغلاط في اللغة والاملاء كان حقاً على الاستاذ ان يصححها لان الكتاب بالجملة كتابه .

٤ — وددنا وجمهوراً من اصدقاء الاستاذ لو انه أسقط الفصل الاخير الذي ترجم فيه نفسه . فلقد ظهر من خلال السطور بل من السطور نفسها انه أراد امراً غير ترجمة نفسه وغير التاريخ .

هذا بعض ما بدا لنا . ونحن نشكر للاستاذ ان أحل كلماتنا السابقة في الاجزاء السابقة محل النظر ، فأورد شيئاً منها في فصل (الاستدراكات والتصويبات) وقد رد على بعضها رداً نترك امره للقارئ .

وها نحن نثني على الاستاذ الرئيس مرة سادسة، لما أسداه الى أمته من الخدمة الصادقة في وضعه لها هذا السفر الجليل .

من اعضاء المجمع العلمي
عارف النكدي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net